

تراث المسلمين في مكافحة الأوبئة بالشرق الإسلامي والأندلس

دراسة تاريخية خلال الفترة 5-8 هـ / 11-14 م

The heritage of Muslims in fighting epidemics in the
Islamic East and Andalusia

Historical study during the period 5- 8 AH / 11-14 AD

رابح أولادضياف¹

جامعة 8 ماي 1945 قلمة

rabah8662@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/30

تاريخ القبول: 2021/05/05

ملخص:

عرفت مجتمعات العصر الوسيط أصنافاً من الأوبئة ، فكان ذلك سبباً في اهتمام الأطباء والعلماء المسلمين بالبحث عن علل حدوثها لاكتشاف الأدوية المناسبة لها ، فبادر العلماء والأطباء إلى اتخاذ التدابير اللازمة للوقاية لمواجهتها كعزل المريض وهو ما يعرف اليوم بالحجر الصحي ، وبناء المستشفيات التي لم تكون موجودة عند غيرهم والبحث العلمي لوضع منظومة طبية لمواجهة هذه الأوبئة ، ولذلك فهذه الدراسة تتعرض للجهود التي بذلها علماء الإسلام لمكافحة الأوبئة الفتاكة ، ومنهجهم العلمي في البحث ، وتقديم العلة فيما يتعلق بها من جهة النظرة الطبية الصرفة ، وكذا الاعتماد على ما قدمه الإسلام في نصوصه من نصائح طبية ، كما تستعرض الدراسة المنهجين في حال التعارض والتوافق ، كما تبحث في خلفية هذه الجهود هل كانت إستراتيجية دولة أم حتمية تمر بها الحضارة الإسلامية بمختلف تشكيلاتها؟.

الكلمات المفتاحية: الطاعون، الأوبئة، العدوى، الحجر، المارستان.

Summary :

The Middle Ages knew varieties of epidemics, and it was a cause of concern for Muslim doctors and scholars, so they took the initiative to isolate the patient and build hospitals, and put in place a medical system to deal with these epidemics. This study is exposed to the efforts made by Islamic scholars to combat epidemics, from the point of view of medicine as well as based on the medical advice provided by Islam, and the study reviews the two approaches in the case of conflict and compatibility as it examines the background of these efforts was the strategy of a state or an imperative going through civilization in its various formations?

Keywords: Plague; Epidemic; Infection; Insulation; Hospital.

¹ المؤلف المرسل: رابح أولاد ضياف. الإيميل: rabah8662@gmail.com

أولا. مقدمة:

تعددت طرق مواجهة الأمراض والأوبئة التي استشرت في مجتمعات العصر الوسيط على حسب البيئة الجغرافية والمناخية والإمكانات الطبية المتاحة منذ بداية نشأة النظام الصحي في الدولة الإسلامية والمعلوم أن ظهور الأمراض والأوبئة ملازم للظاهرة الديمغرافية وتوزيعها العمراني كما أن الطبيعة المعمارية ومدى مطابقتها للمعطيات البيئية من حيث الماء والهواء والتعرض لأشعة الشمس ونسبة الرطوبة ، ومدى التزام الساكنة بشروط النظافة وقلّة نسبة التلوث في الماء أو الهواء بانحباسه بوجود عوائق وغيرها كل ذلك له ارتباط بظهور الأمراض والأوبئة، ولذلك انشغل الأطباء وعلماء المسلمين من حكماء وفقهاء ومؤرخين وغيرهم بالبحث عن العوامل والأسباب المثبطة والمشجعة على انتشار الأمراض والأوبئة لإيجاد العلاجات المناسبة لها ومكافحتها من أجل تلافيتها ، ومن خلال ما أوردته المصادر في هذا المجال لاحظنا أن آراءهم مختلفة حول المسببات التي تؤدي إلى حدوث الطواعين المهلكة التي فتكت بالناس فتكا ذريعا ، لذلك كان عنوان البحث (تراث المسلمين في مكافحة الأوبئة بالمشرق الإسلامي والأندلس دراسة

تاريخية خلال الفترة 5- 8 هـ / 11- 14 م)، ومن أجل ذلك فإن دراسة تاريخ الأوبئة والأمراض تدعو الباحث للتساؤل حول الأسباب المؤدية إلى حدوث أوبئة عالمية أودت بحياة خلق كثير من الناس في المجتمع الإسلامي والأوروبي من حيث هل حدوث هذه الأوبئة يرتبط بأسباب مادية تتعلق بالبيئة والإنسان أم لها أسباب أخرى لا نجد لها تفسيراً إلا من خلال الرؤية الدينية والعقدية؟ وهل تلك الجهود التي بذلها العلماء كانت إستراتيجية دولة أم حتمية حضارية؟ وما مدى تأثير هذه المعضلة في تطور البحث العلمي والعلوم الطبية في الحضارة الإسلامية بشكل عام؟

فالبحث الذي بين أيدينا هو عبارة عن دراسة تاريخية حول جهود علماء المسلمين في مكافحة الأوبئة التي تعرضت لها المجتمعات الإسلامية سيما الطوائع التي ما فتئت تفتك بالأرواح على مدار عصور من الزمن وقد قسمنا البحث إلى محورين: المحور الأول تضمن الحديث عن آراء العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة، والمحور الثاني حول جهود العلماء المسلمين في مكافحة الأوبئة والأمراض، وقسم إلى أربعة عناصر العنصر الأول حول إجراء الحجر الصحي، والثاني عن بناء المارستانات (المستشفيات)، والثالث التأسيس للبحث في علم الأوبئة والأمراض والرابع عن التصنيف في علم الأوبئة والأمراض.

ثانياً، آراء العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة (Epidemics). بداية سنستعرض أهم الآراء التي وردت في المصادر الطبية من طرف العلماء والأطباء حول أسباب حدوث الأوبئة وما خلصت إليه نظرتهم:

من أشهر الأطباء المسلمين الذين انشغلوا بالبحث والتصنيف في هذا المجال الأطباء الأندلسيين الذين صنفوا في الطوائع وتعرضوا لأسباب حدوثها مثل ابن خاتمة⁽¹⁾ وهو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري المري (ت: 770 هـ / 1369 م) فقيه مالكي وشاعر ومؤرخ وطبيب

أندلسي فذ صاحب كتاب " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد " حيث ظهر في سنة 749-750هـ/1348-1349م وباء في المرية الأندلسية عرف بالطاعون الجارف، انتشر في كثير من البلدان⁽²⁾ فاجتاح المشرق والمغرب كما أصاب منطقة البحر الأبيض المتوسط وسماه الإفرنج الطاعون الأسود The Black Plague، وهلك على إثره الكثير من أهل الأندلس وفي مقدمتهم الأعيان من رجال الدولة والعلماء من أمثال أبي الحسن علي بن الجيب (ت:749هـ/1348م) الذي كان يترأس ديوان الكتّاب بغرناطة، وأحمد بن محمد بن برطال القاضي (ت:عام 750 هـ 1349م)⁽³⁾.

حيث يرى ابن خاتمة أن أسباب ظهور الوباء ترجع إلى أسباب مباشرة وملزمة لمحيط الساكنة فتؤدي إلى فساد الهواء فيؤثر ذلك في حياة الناس وأجسامهم، وفسر ذلك بتغير الهواء في الأماكن الموبوءة بسبب ارتفاع أبخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة مياهها والخنادق والأحافير الغائرة الراكدة الهواء والنباتات والبقول المتعفنة وأقذار الناس وفضلاتهم، وكذا جثث قتلى الحروب التي لم تدفن وجيف الدواب وغيرها⁽⁴⁾، وقد يكون اعتماد ابن خاتمة على هذا التفسير لأن الطاعون المذكور قد استشرى في أقاليم المشرق والمغرب والأندلس وفي أوروبا سيما الدول المطلة على المتوسط، كما أنه عم في فصول السنة المختلفة مع اعتدال المناخ فيها من حيث نسبة هطول الأمطار وحدوث الرياح، كما فسّر انتشار الوباء في مصر دون آخر إلى خصائصه الجغرافية وإلى اعتبار تساقط الأمطار وحركة الرياح، وإصابة شخص دون غيره في المصر الواحد يتوقف على نمط الغذاء الذي اعتاده والذي سيكون له أثارا في صحته ومزاجه ومن ثم يصنع فيه القابلية من عدمها في إصابته بالعدوى⁽⁵⁾، وقد عرف ابن خاتمة بقاهر الطاعون لما كتبه من تحقيق وقيده من ملاحظاته الخاصة عن وباء الطاعون في مصنفه " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" وقد رتبته على عشر مسائل

تعرض فيها إلى حقيقة وباء الطاعون وأسبابه المباشرة والغير مباشرة وعن كونه يصيب قوما دون آخرين رغم المشاركة في نفس الظروف الحياتية والعمرانية ، كما ضمن مصنفه الحديث عن كيفية انتقاله بالعدوى ويعد هذا المبحث أهم ما ورد في الكتاب ، ووضّح كيفية الاحتراز منه وتجنبه ، وأشار إلى ما ينبغي فعله حال نزوله بأرض كما تعرض فيه عن ما ورد في الدين الإسلامي في شأن الطاعون ، وبسط البحث في مسألة النهي عن قدوم الأرض التي حل بها وكذا الخروج منها وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طير) وكيفية الجمع بين هذا النص والأثر الوارد في شأن النهي عن دخول الأرض التي بها الطاعون والخروج منه فضلا عن فوائد تاريخية في تاريخ الطواعين التي أصابت المشرق والأندلس⁽⁶⁾.

وقد وافق رأي ابن الخاتمة كل من لسان الدين ابن الخطيب صاحب "مقنعة السائل عن المرض الهائل" ، بالقول أن فساد الهواء من أسباب حدوث الطواعين والأوبئة حيث ورد في المصنف المذكور "مقنعة السائل" (قولنا فساد الهواء الخاص نعني به هواء البيت الذي يصيبه ، ثم هواء القرية مثلا عند استحكامه مع سلامة ما يجاوره تحرزا من فساد الهواء العام ، لوجود السلامة في المجاور ولو كان فسادا عاما لبحر الهواء كما يفسد بحر الماء في الغدر)⁽⁷⁾ ، وقد وافقه الطبيب محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري كان حيا سنة 776هـ/ 1374م صاحب "تحقيق النبأ في أمر الوباء" الذي لم يصل منه إلا مختصر "الرسالة" وقد أخبر عنه في "تقييد النصيحة" فقال: (هذا هو الكلام في هذه النصيحة على ما شرطته ، وقد بسطت هذا بأوعب منه في تأليفي المسمى تحقيق النبأ عن أمر الوباء)⁽⁸⁾ ، وقد تضمن مؤلفه "تقييد النصيحة" على نصائح طبية للوقاية من الوباء ونصائح علاجية للمصابين به وقد أشار إلى ذلك في قوله (واني رأيت أن أبث في هذا العارض الوبائي نصيحة لإخواننا المسلمين ، جعلها الله خالصة لوجهه ، ومقربة من

رحمته⁽⁹⁾، فقد وافق الشقوري ابن خاتمة في القول بعلّة فساد الهواء في ظهور الطاعون وتفشيّه ما نصّه (سببه فساد ميثوث في الهواء المتنفّس فيه ، فلذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء وهو من أكد الأشياء ، ولا يعرف الهواء والحاجة إليه الكثير من الناس، وإنما يعتريه أمر يضيق نفسه من تعب شديد أو مرض في آلات التنفّس ، ثم إن هذا الفساد يقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً حسبما شوهد منه⁽¹⁰⁾ ، في تفشي الوباء جعله يؤكد في مصنفه تقييد "النصيحة" على أمرين الأول ضرورة إصلاح الهواء ومنع مسببات فساده والثاني إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء ونبه على ضرورة التغذية السليمة ليتحمل البدن المرض وإذا عزف المريض عن الأكل يجبر على ذلك ويأكل قسراً⁽¹¹⁾.

ومن الذين أيدوا فرضية فساد الهواء وقالوا بها وصنفوا في الأمراض والأوبئة صاحب "المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية" أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي (ت: 816 هـ/ 1413 م) حيث لخص في مصنفه آراء الحكماء والعلماء في الأمراض التي كان سببها فساد الهواء والأغذية غير الصحية التي لا تكسب الجسم القدرة الكافية على تحمل الأمراض ومقاومتها ، كما شخّص أنواع الوباء من حيث وتيرة انتقاله وسرعة انتشاره ، حيث يرى أن ما كان ينتشر بسرعة ويعم ناساً كثيراً سمي بالطاعون الوبائي أو المرض الوافد ، ويعلل ابن هيدور سبب وقوعه بفساد الهواء وتعفنه ، وفساد الأغذية ، أو منهما معا وهو الأكبر والأشد والطامة الكبرى⁽¹²⁾ ، ومن العلماء أيضاً الذين صنفوا في شأن الأوبئة وبحثوا في مسبباتها أبو عمرو محمد بن منظور القيسي (ت: كان حياً سنة 887 هـ)⁽¹³⁾ صاحب "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد" ضمنها فصلاً تحدث فيه عن إصلاح الهواء والمسكن والحركة والسكون والأطعمة والأشربة وهي أمور وأساسيات لا بد منه لتحصين الوقاية من الأمراض وحال حدوثها.

بينما يفند ابن حجر العسقلاني هذا السبب في كون فساد الهواء يؤدي إلى ذلك معللاً رأيه بأن الطاعون قد يظهر حتى في البلاد الأنقى هواء وأحسن الفصول اعتدالاً في قوله (يرد على من زعم منهم أو من غيرهم أنه من فساد الهواء إشكال وقد تكلم عليه ابن القيم في الهدى وأبطله من أوجه منها وقوعه في أعدل الفصول وأصح البلاد هواء وأطيبها ماء)⁽¹⁴⁾، لأن لو كان فساد الهواء سبب للمرض فإنه لا يستثني أحداً من الناس وحتى الحيوان لأنهم شركاء في الهواء، بينما نجده يصيب مصراً دون آخر ولا يصيب جميع الناس، حيث يرى وكأن الطاعون يخضع إلى طبيعة لا يمكن قياسها والاستدلال عليها أو استشرافها ويرجع ذلك إلى عدم ثبات موجاته من حيث المكان والزمان فجاء في قوله بالنص (لو كان من الهواء لعم الناس والحيوانات ونحن نجد الكثير من الناس والحيوان يصيبه الطاعون وبجانبه من جنسه ومن يشابه مزاجه ولم يصبه، وشوهد يأخذ أهل بيت واحد بأجمعهم ولا يدخل بيتاً بجوارهم أصلاً)⁽¹⁵⁾، فابن حجر وضع مصنفاً عن الطاعون سماه «بذل الماعون في فضل الطاعون» فهو يعتمد على الدليل الشرعي في تعليل أسباب حدوث الطاعون كما جاء في النص الذي أورده كتب الحديث عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فناء أمتي بالطعن والطاعون). قال: فقلنا: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة). لذلك فسّر أسباب حدوث الطاعون أنه ناتج عن وخز الجن⁽¹⁶⁾، وقد عضد ابن حجر رأيه بما أورده من نصوص من أقوال لعلماء مسلمين كابن القيم وابن إسحاق للتدليل على تسلط الجان على الإنس بالطاعون، كما ضمن كتابه قصص وحكايات ليثبت من خلالها أن الطاعون من وخز الجن⁽¹⁷⁾.

بينما دعم ابن خلدون القول بفساد الهواء وعلاقته بحدوث الطاعون من خلال تفسيره لأسباب فساد الهواء والعوامل المؤدية إلى ذلك لتكون سبباً في

ظهور الطاعون وتفشيته، حيث جعل من كثرة العمران وما يخالطها من العفن و الرطوبات الفاسدة تؤدي إلى فساد الهواء الذي هو غذاء الروح فبفساده يسري ذلك إلى مزاج الإنسان ، وإذا كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة حيث أن الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة ، وأن الفساد إذا كان دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان ومرد ذلك كله إلى كثرة العمران وتداخلها وقلة تعرضها إلى أشعة الشمس وعدم تعرضها للتهوية الكافية و انحباس الهواء فيؤثر ذلك سلبا على مزاج الفرد وصحته⁽¹⁸⁾ .

كما أن مرويات مصادر التاريخ الإسلامي العامة هي بدورها تؤيد فرضية فساد الهواء ودوره في حدوث الطواعين حيث ذكر ابن كثير أنه عند اجتياح المغول لمدينة بغداد وتدميرها في سنة 656هـ / 1258م : (تعطلت المساجد و الجماعات و الجُمُعات مدة شهور ببغداد ،... ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإننا لله وإنا إليه راجعون)⁽¹⁹⁾ .

ثالثا. جهود العلماء المسلمين في مكافحة الأوبئة والأمراض:

1-الحجر الصحي:

أسهبت مصادر التاريخ الإسلامي في الحديث عن النوازل والمحن التي حلت بالمسلمين في مختلف العصور سيما الكوارث التي تحل بسبب الأوبئة والأمراض من الطواعين التي كانت تظهر غالبا على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة أو عشرين سنة تقريبا ، فتذهب بأرواح الآلاف من الناس،

لذلك بادر المسلمون حكاما وعلماء وأطباء إلى اتخاذ تدابير للوقاية ومواجهة الأوبئة والأمراض معتمدين على ما جاء في الإسلام من حث على النظافة وحماية النفس من الأمراض بإتباع هدي القرآن الكريم والسنة النبوية ، ففي طاعون عمواس تعامل الصحابة بوصية النبي صلى الله عليه وسلم عمليا عن الطاعون : (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)⁽²⁰⁾ وهي دلالة واضحة على ما يعرف اليوم بالعزل والحجر الصحي كإجراء أولي لمواجهة الأوبئة والأمراض ، فان وقعت الأوبئة يحجر على المرضى ببقائهم بأرض الوباء ومنع خروجهم منها حتى لا ينتقل إلى أقاليم أخرى عن طريق العدوى ، وألا يدخل الأصحاء إلى الأرض الموبوءة فيصيبهم المرض، وقد تم تطبيق هذا المبدأ الوقائي عمليا اعتمادا على هذا الحديث في طاعون عمواس⁽²¹⁾ سنة 18 هـ/ 639 م، وامتنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن دخول بلاد الشام لما بلغه ما حل بها من الطاعون وهو يقصد دخوله إليها ، وقد ساء بعض الصحابة ما قام به عمر ظنا منهم بأنه فرار من القدر سيما أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فبين له عمر بقوله : (نفر من قدر الله إلى قدر الله) وفي الأمر تفصيل عند فقهاء الإسلام في الجواز وعدمه في مسألة الخروج من الأرض الموبوءة للحاجة أو للتداوي أو الرحيل وغيرها من الأحوال والمقاصد، فالتوكل وحسن الاعتقاد مطلوب عند حلول الأوبئة دون ترك العمل بالأسباب لذلك أمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أبا عبيدة بالتوجه إلى المواقع المرتفعة حيث تكون أنقى وأصفى هواء وأن يتجنب الأرض المنخفضة حيث تركد المياه ويتلوث الهواء فتكون أدعى للمرض وهي إضافة في تدابير الوقاية من الأمراض.

وقد ذهب هذا الطاعون بأرواح كثيرة من الناس ففي الشام قدر عدد الموتى نحو ثلاثين ألف ومات فيه بعض الصحابة مثل أبي عبيدة ثم تولى بعده معاذ بن جبل فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام

فيهم خطيبا ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال ، قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ، ودفعه الله عنهم فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص فما كرهه ، ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها⁽²²⁾ .

2- بناء المارستانات (المستشفيات):

ومع تجدد موجات الطاعون على مدار عقود من الزمن ، واستشرائه في أغلب الأمصار الإسلامية في العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس إلى جانب الأوبئة والأمراض الأخرى التي فتكت فتكا ذريعا بأرواح الناس، ظلت بحوث وانشغالات العلماء والأطباء المسلمين متواصلة من أجل كشف أسباب هذه الأوبئة وكشف الترياق المناسب لها والبحث في كيفية تلافئها والاستئثار بها ، فكان لهم باع طويل في هذا المجال وعلى أساسه إنبنى البحث العلمي في مجال الطب عند الأوروبيين إلى فترات قريبة بما انتقل إليهم من علوم المسلمين سيما ما كان من العلوم الطبية، ولذلك عمل الأطباء المسلمون على عزل المريض والحجر عليه حتى لا تنتقل العدوى إلى الأصحاء كمرضى الجذام وغيرهم ممن تعثر بهم الأمراض المعدية من خلال إقامة مارستان لهم يعرف بمارستان المجذومين وإن أول مجذمة عرفت في تاريخ الطب الإسلامي هي مجذمة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(ت: 96هـ/715م) بدمشق، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا ويختلطوا بالناس، فيتم عزلهم حتى لا تنتقل العدوى إلى غيرهم ، من أجل ذلك أمر الوليد بن عبد الملك بحبسهم وأجرى عليهم الأرزاق⁽²³⁾ ، وهذا من حرص الإسلام على حماية الصحة العامة ودفع الضرر ، فالحجر الصحي أمر مشروع في الإسلام ، لذلك يجوز عزل

المريض مرضاً معدياً عن الناس ، ورخص الإسلام في عدم السلام عليه أو الاختلاط به ، وقصة الرجل الذي جاء لبيعة النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة دليل على ذلك ، حيث لم يسمح له بالدخول إلى مجلسه بعد أن قبل بيعته وذلك حرصاً على الصحة العامة ، وقال (اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين) وقال (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)، ثم تطور مارستان المجذومين في العهد العباسي، فقد بنى الخليفة المأمون (198-218 هـ / 813-833 م) بيوتا للحجر الصحي للمجذومين وجعلهم في أماكن خاصة بهم بعيدة عن السكان الأصحاء ، وهذا النوع من المارستانات هو مارستان متخصص وثابت إما أن يكون مستقلاً أو تخصص أجنحة خاصة لمرضى الجذام ولا يسمح لمن فيها بالاختلاط ببقية أجنحة البيمارستان الأخرى حتى لا تنتقل العدوى إلى بقية المرضى⁽²⁴⁾ ، وتعد المجاذم التي أقامها المسلمون أول المصحات التي كان لها السبق للتخصص في معالجة مرض الجذام ، وقد عولج فيها المجذومين معالجة علمية هذا إذا تم تشخيص المرض مبكراً ، أما إذا استحكم استعصى علاجه ، وعلامات الإصابة بهذا الداء الخبيث ملاحظة تغير لون العين من الحمرة إلى السواد وضيق في التنفس وبحة في الصوت ، كما يعتري المريض فساد في أخلاقه من تيه وحقد وتكثر في نومه الكوابيس وتساقط شعره وتشقق الأظفار وتجهم الوجه وجمود الدم في المفاصل وتعفنه ، كما تظهر علامات أخرى بقدر تمكن المرض من الجسم ، وكانت تلك المصحات تقدم العلاج المجاني لمرتابيها⁽²⁵⁾ .

ومن التدابير والإجراءات التي اتبعها المسلمون لمكافحة الأمراض والأوبئة ومعالجتها إلى جانب الحجر الصحي والعزل الوقائي بناء المارستانات حيث سجل المسلمون قدم السبق في هذا المجال فلم تكن موجودة عند اليونان والرومان بالمستوى الذي كانت عليه عند المسلمين ، إلا بيوتات لرعاية العجزة والمسنين والجرحى من الجيش⁽²⁶⁾ وتقريباً نفس الحال كانت عليه الذي كانت

عليه أوروبا في العصر الوسيط، لذلك كان الاهتمام بالصحة العامة إستراتيجية الدولة في الإسلام وليست تدابير عارضة، فاتخاذ الممارسات بغرض التداوي والرعاية الصحية ظهر في عصر مبكر في الحضارة الإسلامية ، تخبرنا المصادر التاريخية أن في غزوة الخندق اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خيمة لمعالجة الجرحى⁽²⁷⁾ ويعد ذلك بمثابة النواة الأولى التي إنبتت عليها فكرة إقامة دار للمرضى والمصابين والذي عرفت فيما بعد بالمارستان.

وظل الطب بملامحه البسيطة في العصر الراشدي يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكي والحجامة في بعض الأحيان إلى غاية العصر الأموي حيث بداية إرهاصات نشأة منظومة صحية متكاملة الأركان حيث رافق الإرادة السياسية استثمار الخبرات الطبية بالاعتماد على المؤلفات الإغريقية في هذا المجال واشتغال بعض الأطباء ممن لهم دراية بالأدوية والسموم من أمثال ابن أثال وأبو الحكم الدمشقي الذين ترددوا على البلاط الأموي⁽²⁸⁾، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأ التأسيس الفعلي للممارسات، فقد أنشأ معاوية مارستانا إسلاميا في عاصمة الدولة الأموية دمشق سنة 60 هـ/679 م تحت المئذنة الغربية من الجامع الأموي ، كما عمد معاوية إلى اتخاذ مارستانات ميدانية لمعالجة الحجيج وعين لهم الأطباء⁽²⁹⁾، وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/705-714 م) تم بناء مارستان أسكن فيه العميان وحبس المجذومين أن يخرجوا على الناس خشية أن تنتشر العدوى بين العامة⁽³⁰⁾، أما العصر العباسي فقد شهد نهضة حقيقية على مستوى المنشآت الصحية التي عرفت تطورا كبيرا بسبب الاهتمام الذي أولاه السلاطين والأمراء والأعيان والميسورين بما رصدوا لها من الأموال والرعاية الأمر الذي ساهم بشكل إيجابي في تطور الخدمة الطبية بهذه المنشآت، سيما في العصر العباسي الأول فقد أبدى الخلفاء عناية فائقة في هذا المجال ، ومنهم الخليفة المنصور (136-158 هـ/753-774 م) الذي شيد

دارا للعجزة والأيتام ومعالجة المجانين قال في حفل افتتاحها (إني أكرس هذا المارستان للرفيع والوضيع ، وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك، وللجندي والأمير، وللعظيم والحقير، وللرجال والنساء)⁽³¹⁾، كما شيد الخليفة هارون الرشيد (170- 193هـ/786-808م) مارستانا ببغداد بكامل تجهيزاته وجعل على رئاسته الطبيب الشهير "جبرائيل بن بختيشوع" الذي استقدمه من مدرسة جانديسابور فأصبح هذا المارستان محورا للنشاط والتقدم الطبي، وجعل في بعض أقسامه مكانا بمثابة كلية طبية لتعليم الطلبة الراغبين في مهنة الطب وتعلم العلوم الطبية، كما أنشأ مارستانا آخر ببغداد تحت رعاية البرامكة⁽³²⁾، ولقد أنشأ أيضا الخليفة المعتصم (218- 227هـ/833-841م) مارستانا ببغداد عرف بالمارستان الصاعدي أو العتيق وكان يرعاه بنفسه من حيث الإنفاق وتعيين من يقوم على خدمة المرضى والعاملين به⁽³³⁾.

ولما كان بناء منظومة صحية إستراتيجية دولة لذلك دعمها الخلفاء ورجال الدولة ، واستمرت هذه الإستراتيجية على مدار عهود الخلافة العباسية ، وفي عهد الخليفة المقتدر (295-319هـ/907-931م) ازداد الاهتمام بالمؤسسات الصحية وإنشائها⁽³⁴⁾، لذلك أمر سنة 295هـ / 907 م ببرنامج إصلاح يشمل كل مارستانات الدولة وإعادة تجهيزها بما تحتاجه من الأدوية والمواد الغذائية التموينية⁽³⁵⁾، وإعادة النظر في شروط الانتساب إليها من الأطباء لتجنب الأخطاء الطبية بسبب الخطأ في التشخيص أو صرف الأدوية غير المناسبة للمرض باشتراط أن لا يوظف بها إلا من اجتاز امتحان الكفاءة بالمارستان المنتسب إليه ، كما شيد المقتدر المزيد من المارستانات في أماكن متعددة ، وقد زادت بعد ذلك وتطورت حيث وصل عددها في بغداد وحدها إلى ما يقارب العشرة وبلغت المائة في سائر الأمصار الإسلامية ، مثل أنطاكية ودمشق وحلب والقاهرة والقدس ومدن إسلامية أخرى⁽³⁶⁾، وقد كان لهذه

الممارسات الدور الفعال في التكفل بالمرضى سيما في زمن الأوبئة الفتاكة كالطواعين ، ففي عهد الخليفة المقتدي بأمر الله (468-487 هـ/1075-1094م) تعرضت بغداد وما جاورها إلى موجة عنيفة من الطاعون سنة 478 هـ/1085م فعجز الأطباء عن وصف العلاج له لا من المسخنات ولا من المبردات فاشتد الموت في الناس من جرائه إلى حد أن الميت يمكث اليوم واليومين لا يجد من يجهزه غسلا وتكفينا ودفنا ، فخصص المقتدي مكانا لدفن الموتى وهي ضيعة تعرف بالأجمة فامتألت بالقبور، كما انتشر الجذري فأصاب الأطفال وشق على الناس ما حل بهم من القحط ، فأسعفت الدولة المرضى بالأدوية واستقبالهم والتكفل بهم⁽³⁷⁾ ، كما أنشأ الخليفة المستنصر بالله (623-649 هـ/1226-1251م) مارستانا بمكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام سنة 627 هـ/1229م وآخر بالمدرسة المستنصرية سنة 638 هـ/1240م⁽³⁸⁾ ، كما عرفت الدولة الطولونية³⁹ والسلجوقية⁴⁰ والإخشيديّة⁴¹ والفاطمية⁴² والأيوبية⁴³ والزنكية⁴⁴ بناء العديد من الممارسات على غرار العاصمة بغداد وبقية الأقاليم الإسلامية الأخرى.

وقد تنوعت هذه الممارسات حسب الأمراض والمرضى المنتسبين إليها ومن حيث كونها متنقلة أو ثابتة، فمن حيث الأمراض فقد تخصص بعضها كممارسات المجذومين وهي خاصة بالإقامات الصحية لمرضى الجذام حتى لا يخرجوا ويختلطوا بالناس فيعزلون خشية العدوى ويقدم لهم العلاج العلمي والمجاني، وممارسات المسجونين في إطار الاهتمام بالحالة الصحية للمساكين في خلافة المقتدر بالله كتب إلى رئيس الأطباء ثابت بن قرة والمشراف العام على المؤسسات الطبية من أجل اتخاذ التدابير اللازمة للاعتناء بصحتهم وتخصيص ممارسات لهم وتشكيل لجان طبية لزيارة المساكين والإطلاع على الحالة الصحية لهم وتقديم العلاج المناسب والأدوية للمرضى منهم ، كما جعل للمجانين والمرضى عقليا ونفسيا

مارستانات خاصة للتكفل بهم وفق أساليب علمية دقيقة ، لحمايتهم من الإهمال والاعتداء عليهم وتبنى مارستانات المجانين بكيفية تتماشى مع طبيعتهم بتأمين حجراتهم بقضبان وشبابيك حديدية كما رستان القاهرة الذي بناه الناصر صلاح الدين الأيوبي⁴⁵ سنة 567هـ/1171م⁴⁶، وقد حظي المرضى المجانين برعاية فائقة من أجل مساعدتهم على استعادة حالتهم النفسية العادية والتماثل للشفاء ، فكان يقدم لهم أفضل الأطعمة وأطيب العطور ويعاملون معاملة حسنة ، واتخذ لكل مريض مرافق يطوف به في الحدائق الخضراء المزهرة ويقرأ عليه القرآن ويخصص له خادمان لتغسيله وإلباسه ثيابه وقد يؤخذ للاستماع إلى الموسيقى الهادئة ، وإلى جانب ذلك فقد طال الاهتمام بالصحة العامة للغرباء المرضى الذين لا مأوى لهم يقيمون فيه فلا يكونوا عرضة للتهيش والإهمال فيتم التكفل بهم وبصحتهم⁽⁴⁷⁾، كما اهتدى الطب الإسلامي والاهتمام بالصحة العامة إلى اتخاذ مارستانات متخصصة في الإسعاف وهي مارستانات ميدانية متنقلة تكون في الأماكن العامة المكتظة بالناس سيما في أوقات الصلوات كالجمع والمواسم والأعياد التي كثيرا مما تتعرض صحة الناس للخطر بسبب أحداث معينة ، فتقدم الإسعافات للمصابين في حينها من طرف فريق متخصص يترأسه طبيب ومعه بعض الأعوان، وقد ظهر هذا النوع من المارستانات الميدانية في مختلف حواضر الدولة الإسلامية مثل بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من الأمصار⁽⁴⁸⁾.

3-التأسيس للبحث في علم الأوبئة والأمراض:

ومن بعض رواد هذا المجال في العلوم الطبية المتعلقة بالأمراض الفيروسية *Maladies virales* أبو بكر الرازي (ت: 311هـ / 923 م) طبيب وكيميائي وفيلسوف ورياضيًّا مسلم بلغت شهرته الآفاق، وله الكثير من الرسائل في شتى مجالات الأمراض وكتب في كل فروع الطب والمعرفة في ذلك

العصر، وقد تعرض الرازي في كتابه المشهور (الحاوي) بالحديث المفصل عن مرض الجذام Leprosy من حيث أعراضه وطرق العدوى الناقلة له ، وهو مرض مزمن ومعدى تسببه بكتيريا عصبية Bactéries Bacillus يصيب الجلد والأعصاب المحيطة والغشاء المخاطي للجهاز التنفسي العلوي وكذلك العينين ، وقد تطول أعراضه إلى عشرين سنة ، يؤدي إلى تلف الأعصاب في الذراعين والساقين ومناطق الجلد حول الجسم وغيرها من الأعراض ، وهو من الأمراض القديمة قدم الإنسان ، و ينتقل بين الأشخاص عن طريق العدوى بواسطة الرذاذ الأنفي ، وله آراء محكمة في التشخيص والتداوي فمن أثره (مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قد أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب)⁴⁹ ، وكذا أيقونة عصره في العلوم الطبية والأمراض أبو علي الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا المتوفى سنة 427 هـ/ 1035 م ، الذي أشار إلى الأسباب التي تؤدي إلى الطاعون الفتاك كالطاعون الأسود ، وقدم نصائح لتجنبه والوقاية منه ، كما أكد على أن كل الأوبئة المعدية سببها أجسام صغيرة غير مرئية وهو ما اصطلح عليه في العصر الحديث بالفيروسات ، تدخل الجسم فتصير أعداد هائلة فتظهر آثارها على الجسم بالحمى فلما تتغلب عليه تؤدي إلى الوفاة ، كما أشار إلى طرق انتقالها إلى الجسم عن طريق اللمس أو التصاقها بظاهرة أو على مستوى الشعر واللباس ، ومن أهم الانجازات الطبية له أنه كان له السبق في تشخيص داء الفيلاريا (الديدان الطفيلية) وكيفية انتشاره في جسم الإنسان، كما وضع وصفا للجمرة الخبيثة Anthrax التي تسمى بالنار المقدسة عند بعضهم ، وغيرها من الأمراض الفتاكة كالحصبة والجذري والجذام وهو أول من قال بالعدوى الوراثية⁵⁰ ، وقد دعا ابن سينا إلى ضرورة الاعتماد على عزل المريض عن الأصحاء مدة أربعين يوما لتجنب العدوى وأصبح أمرا مطلوبا ومؤكدا في الطب الحديث الذي اصطلح عليه بالحجر الصحي.

4- التصنيف في علم الأوبئة والأمراض:

نظرا لما شهدته البلاد الإسلامية من أزمات ومحن كبيرة عبر تاريخها الطويل بسبب الجوائح والأوبئة والأمراض المعدية، ومن أهمها الطاعون الذي ما فتئ يحل ببلادهم ففتك بهم فتكا ذريعا وفي كثير من الأحيان لم يستثن إقليما من البلاد الإسلامية سواء بلاد الشام أو مصر والعراق والمغرب والأندلس، فأودى بحياة ألوف من الناس هذا ما حدا بالمؤرخين المسلمين إلى تقييد مشاهداتهم وتدوين الأخبار لتلك الأوبئة وما تركته في حياة الناس مثل المقريزي وابن تغري بردي وابن كثير وابن إياس وابن بطوطة والونشريسي وغيرهم كثير مستعرضين ما تركته هذه الأوبئة من آثار وخيمة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها من المستويات. ومن الذين كتبوا في الطاعون وكانوا ضحايا له أو ماتوا بسببه :

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى سنة 281 هـ/ 894 م⁵¹: الذي صنف كتابا في الطاعون المعروف بـ(كتاب الطاعون) وذكره الذهبي في السير بـ(الطّواعين)⁵² حيث يعتبر هذا الكتاب من أول ما صنف في الطاعون، وكذلك صلاح الدين الصفدي⁵³ الذي توفي بالطاعون سنة 764 هـ/ 1362 م الذي جمع أشعارا متعلقة بالطاعون، حيث اشتد الوباء والطاعون بمصر في هذه السنة هلك على اثر ذلك كثير من الناس والأعيان كقاضي القضاة وكاتب الحكم بن الفرات وطائفة كثيرة من اليهود وكذا زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي عمر بن المظفر بن عمر بن محمد أبو حفص زين الدين المؤرخ⁵⁴ القاضي الأجل والإمام الفقيه والأديب الشاعر المتوفى بطاعون سنة 749 هـ/ 1348 م⁵⁵ الذي ألف في الطاعون كتابا سماه (النبأ عن الوباء)، وتاج الدين بن عبد الوهاب السبكي الذي توفي سنة 771 هـ/ 1369 م الذي له

مؤلفات عديدة منها كتابه عن الطاعون الذي يعرف بكتاب جزء عن الطاعون وقد كان هذا الوباء سببا في وفاته.

وكذا الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن حجلة التلمساني المتوفي سنة 776 هـ / 1374 م الذي توفي بوباء الطاعون وقد صنف كتابا سماه (الطب المسنون في دفع الطاعون). كما عايش ابن حجر العسقلاني ت: 852هـ/1371م⁵⁶ كثير من المحن بسبب الطواعين التي فتكت ببنااته الثلاثة عالية وفاطمة في طاعون سنة 819 هـ/1416 م ، وابنته الكبرى زين خاتون في طاعون سنة 833 هـ/1429 م الأمر الذي دعاه إلى تأليف كتابه (بذل الماعون في فضل الطاعون). وغيرهم من المؤرخين والعلماء الذين قضوا بسبب الطواعين.

رابعاً. الخاتمة :

ومما تقدم عرضه يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- أن الأوبئة ترجع إلى أسباب ملازمة لمحيط الساكنة فتؤدي إلى فساد الهواء فيؤثر ذلك على حياة الناس وأجسامهم فتظهر فيهم الأمراض، وحال وقوعها تكون العدوى واختلاط الناس سببا لانتشارها وهذا ما نفسره سبب انتشار الطواعين في المشرق والمغرب والأندلس وأوروبا في العصر الوسيط.
- أن عوامل البيئة لا تؤثر على انتشار الأوبئة في مختلف الأقاليم في العصر الوسيط رغم اعتدال المناخ من حيث الرطوبة والحرارة ونسبة هطول الأمطار وحدوث الرياح وغيرها.
- أن إصابة الأوبئة لبعض الأشخاص دون آخرين في البلد الواحد يتوقف على نمط الغذاء الذي اعتاده كل فرد الذي سيورث آثاره على صحته ومزاجه ومن ثم يصنع فيه القابلية من عدمها في إصابته بالعدوى.
- أن علماء المسلمين من أطباء وحكماء كانوا السباقين إلى اعتماد الحجر الصحي كوسيلة للوقاية من انتشار الأوبئة والأمراض المعدية معتمدين على

- ما جاء في تعاليم الإسلام من الدعوة إلى عدم دخول الأرض الموبوءة وعدم الخروج منها.
- اتخاذ المسلمين منشآت صحية تعرف بالمارستانات تحاكي المستشفيات الحديثة من حيث الأغراض الطبية ، وهي إقامات صحية تقدم فيها خدمات طبية مجانية للمرضى.
- أن الرعاية الصحية في الحضارة الإسلامية كانت تمثل إستراتيجية دولة لذلك عرف المسلمون تقدما محترما في المجال الطبي في عصورهم الزاهية، كما وضع المسلمون شروطا علمية جادة في ممارسة مهنة الطب والانتساب إليها من أجل مكافحة الأخطاء الطبية والدجل في هذه المهنة المهمة والصعبة.
- أن جميع فئات المجتمع استفادت من الخدمات الطبية من مرضى عاديين أو مجانين أو غرباء أو مجندين وغيرهم.
- ظهور ما يعرف بالمستشفيات الميدانية المتنقلة في مختلف حواضر الدولة الإسلامية.
- أن الأطباء المسلمين يعزى إليهم قدم السبق في اكتشاف وتشخيص الأمراض التي تتسبب فيها الفيروسات التي تشكل أخطر الأمراض الفتاكة مثلما عليه الحال اليوم وما يعيشه العالم من جراء فيروس كوفيد 19 (الفيروس التاجي) كورونا.

خامسا.الهوامش:

- ¹ - المير أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي: نثر الجمان في شعر نظماني وإياه الزمان المشهور بأعلام المغرب والأندلس في القرن 8 هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2، 1987، ص 175-176. لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1973 ، ص239 وما بعدها.
- ² - ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1998، ج18، ص502 وما بعدها.
- ³ - ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1 ، ص 247 . 267.

- ⁴ - ابن خاتمة المري الأندلسي، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ص 360 أنظر محمد كرد علي (تعريف بكتاب) مجمع اللغة العربي بدمشق مجلد 17 الجزء 7.
- ⁵ - ابن خاتمة ، المصدر السابق ص 361-362.
- ⁶ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق حياة قارة، دار الأمان، الرباط، ط1، 1436هـ/2015م ، ص19.
- ⁷ - نفسه، ص78.
- ⁸ - نفسه، ص22.
- ⁹ - نفسه ص22.
- ¹⁰ - نفسه ، ص22.
- ¹¹ - نفسه، ص23.
- ¹² - نفسه، ص24.
- ¹³ - إمام فقيه وقاضي بغرناطة له فتاوى مذكورة في المعيار ، كان حيا سنة 887هـ أحمد بابا التنبكي (ت:1036هـ) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح:عبد الحميد عبد الله الهدامة، دار الكتاب ، طرابلس، ط2 ، 2000 ، ص558.
- ¹⁴ - الحافظ بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة الرياض ، ص105.
- ¹⁵ - العسقلاني، المصدر السابق، ص105.
- ¹⁶ - العسقلاني، المصدر السابق، ص109 وما بعدها.
- ¹⁷ - العسقلاني، المصدر السابق، ص109 وما بعدها.
- ¹⁸ - ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، صص 109-114.
- ¹⁹ - ابن كثير ، المصدر السابق، ج17، ص362.
- ²⁰ - البخاري، صحيح البخاري (باب ما يذكر في الطاعون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج4، ص14.
- ²¹ - عمواس: وهي من أرض فلسطين بالقرب من بيت المقدس ومنها كان ابتداء الطاعون زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فشا في أرض الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ، ج4 ، ص157.
- ²² - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ج4 ، ص62.
- ²³ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2 ، 1968.
- ج6، ص437. ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن التيمي البكري ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العربية ، بيروت

- ط 1، 1992، ج 6، ص 287. ابن الأثير، أبو الحسن علي الشيباني، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2002، ج 4، ص 246.
- ²⁴ - يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1982م، ص 44.
- ²⁵ - حبيب مصطفى عز الدين: جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، جامعة محمد الخامس، 1998-1999، ج 2، ص 411.
- ²⁶ - فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، مصراتة، 1986، ص 193.
- ²⁷ - ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 2، القاهرة، 1375هـ/1955م، ج 2، ص 239.
- ²⁸ - رابع أولاد دضياف، الجراية في الدولة الإسلامية من صدر الإسلام إلى سقوط بغداد 1هـ/656 هـ، جامعة باتنة 2015م
- ²⁹ - القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل، دمشق، ط 1، دار الفكر، 1987، ج 1، ص 431.
- ³⁰ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 195.
- ³¹ - عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة أسعد، 1967، ص 136. وقد أشارت الدكتورة حنيفة الخطيب إلى أنه يبدو أن العلوجي الذي نسب هذا النص خطأ إلى الخليفة المنصور العباسي، قد توهم في ذلك، وهذا النص ينسب إلى الملك المنصور قلاوون الذي بنى المارستان المنصوري بالقاهرة، وقال في حفل افتتاحه: "...ثم استدعى أي المنصور- قدحا من شراب المارستان وشربه وقال: قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكور والإناث". حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص 203.
- ³² - أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1981، ص 178. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 196. ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة (132 هـ/243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط 1، مكة، 1986، ص 410.
- ³³ - ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم السعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 416.
- ³⁴ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2004، ج 23، ص 28.
- ³⁵ - الزهراني، ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة (132 هـ/243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط 1، مكة، 1986، ص 411.
- ³⁶ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 302. مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص 19.

- ³⁷ - ابن الجوزي: المنتظم، ج 16، ص 240. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص 20.
- ³⁸ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد سابق الدين خن الخضير الأسويطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، القاهرة، 1967، ص 413. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص 20.
- ³⁹ - الدولة الطولونية: دولة قامت بمصر والشام والحجاز (254-292 هـ/868-905 م) بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية، تنسب إلى مؤسسها أحمد بن طولون.
- ⁴⁰ - الدولة السلجوقية: سلالة تركية نسبة إلى السلاجقة الذين ينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق، جغرافيتها التاريخية إيران وأفغانستان ووسط آسيا وصولاً إلى كاشغر شرقاً وبلاد الشام والعراق والأناضول إلى القسطنطينية غرباً، كانت فترة وجودها (429-552 هـ/1037-1157 م).
- ⁴¹ - الدولة الإخشيدية: أسسها محمد بن طغج الإخشيد في مصر وتوسعت لتشمل الشام والحجاز، كان تأسيسها سنة 324 هـ/936 م وسقوطها سنة 358 هـ/968 م.
- ⁴² - الدولة الفاطمية: قامت على المذهب الشيعي بدأت من تونس ومصر ثم المغرب والسودان وصقلية وبلاد الشام والحجاز من سنة 297 هـ/909 م إلى سنة 567 هـ/1171 م.
- ⁴³ - الدولة الأيوبية: قامت بمصر وتوسعت لتشمل الشام والحجاز واليمن وبعض أجزاء المغرب، مؤسسها صلاح الدين بن يوسف بن أيوب، فترة حكمها كانت (569-648 هـ/1174-1250 م).
- ⁴⁴ - الدولة الزنكية: أو الأتابكية أسسها عماد الدين زنكي بن آق سنقر في الموصل وتوسعت لتشمل الجزيرة الفراتية والشام ثم مصر كانت فترة حكمها (521-648 هـ/1127-1250 م).
- ⁴⁵ - صلاح الدين الأيوبي: الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدؤيني التكريتي (532-589 هـ/1138-1193 م)، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التي استمرت 262 سنة. قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين الأوروبيين في سبيل استعادة الأراضي المقدسة التي كان الصليبيون قد استولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين. كان صلاح الدين يقول بمذهب أهل السنة والجماعة. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، بيروت، دار صادر، ج 5، ص 152.
- ⁴⁶ - المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط 1، بيروت، 1997، ج 7، ص 383. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 218. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص 55.
- ⁴⁷ - فرج محمد الهوني، المرجع السابق، ص 218.
- ⁴⁸ - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص 72. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 223.
- ⁴⁹ - ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 158.

-
- ⁵⁰ - الطويل ، توفيق. في تراثنا العربي الاسلامي. الكويت. عالم المعرفة. ط 1998، ص 207.
- ⁵¹ - ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج 1، ص 341-342. البغدادى، المصدر السابق، ص 293-295)
- ⁵² - الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1983، ج 1، ص 403.
- ⁵³ - ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 11، ص 15.
- ⁵⁴ - الزركلي، خير الدين، الأعلام، (ط 15). بيروت. دار العلم للملايين، 2002، ج 1، ص 67.
- ⁵⁵ - الكتبي، محمد بن شكر، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 3، ص 160.
- ⁵⁶ - الزركلي، المرجع السابق، ج 5، ص 88.